نظام الحكم في الدولة السعودية
الدولة السعودية الثانية أنموذجًا

د. محمد بن علي السكاكر
كلية العلوم العربية والاجتماعية
فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم

مقدمة:

لقد مرت منطقة نجد في تاريخها الحديث بالعديد من الأحداث الكبيرة التي كان لها تأثير بارز على مسارها السياسي والحضاري، وهي في غالبها أحداث داخلية لبعدها عن الأطماع الاستعمارية الأجنبية.

فقد كان مجتمع هذه المنطقة يتكون من شقين: حاضرة وبادية. وكانت زعامة الحاضرة والبادية لشيوخ الأسر الكبيرة منزلة ومكانة، وتكون إمَّا وراثية، أو يوصل إليها عن طريق القوة(١). وتختلف علاقة المأمور بأميره تبعًا لاختلاف طريقة الوصول إلى الإمارة، وهذا يفسر لنا شيئًا من أسباب اضطراب الحياة السياسية في منطقة نجد.

أمَّا من الناحية الاقتصادية فإن البدو يعتمدون على الثروة الحيوانية ومنتجاتها، وبعضهم يعتمد على الغزو والسلب، وأمَّا

(١) مؤلف مجهول، لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، دون تاريخ، ص٢٩.

الحضر فإن الزراعة تشكل موردًا مهمًا من الموارد الاقتصادية، وتعد زراعة النخيل أهم مورد زراعي؛ لأن المزارعين يستفيدون منها من عدة وجوه، إذ يستخدمون كل جزء منها في أغراض حياتهم اليومية المتعددة(٢).

أمَّا من الناحية الاجتماعية فإن منطقة نجد - بحكم تضاريسها ومناخها - كانت بعيدة عن مناطق الامتزاج السكاني كالأماكن المقدسة والمناطق الساحلية، ولذلك حافظ سكان هذه المنطقة على عاداتهم وتقاليدهم العربية الموروثة(٣).

وفي ظل هذا الوضع برزت أسرة آل سعود بوصفها أسرة استطاعت أن تحكم أكبر مساحة في هذه المنطقة، بعد أن ناصرت الشيخ محمد بن عبدالوهاب في دعوته الإصلاحية عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، فقامت الدولة السعودية الأولى التي اتخذت من الدرعية أول عاصمة لها، ومرت هذه الدولة بأدوار ثلاثة هي :

١ - الدولة السعودية الأولى ١١٥٧-١٢٣٣هـ/١٧٤٤-١٨١٨م.

٢ - الدولة السعودية الثانية ١٢٤٠-١٣٠٩هـ/١٨٢٤-١٨٩٢م.

٣ - الدولة السعودية الثالثة ١٣١٩هـ/١٩٠٢م.

ولما كانت الدولة السعودية الثانية قد شهدت بعض الفتن الداخلية والغزو الخارجي، مثل قتل الإمام تركي بن عبدالله، وظهور الحكم المصري في نجد من جديد، والتنافس على الحكم،

---

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ٤١/١.

(٣) العثيمين، عبدالله الصالح، نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثالثة، الرياض شوال ١٣٩٧هـ/ سبتمبر ١٩٧٧م، ص.ص ١١-١٢.

وبخاصة أبناء الإمام فيصل بن تركي بعد وفاته، وما نتج عن ذلك من تصدع للدولة بفقدها لأهم المناطق التابعة لها، ثم سقوطها بعد ذلك؛ لذا رأيت أن أكتب بحثًا عن جزء من التاريخ الحضاري لهذه الدولة، الذي لم يلق اهتمامًا وعناية من الباحثين، كما هو الحال بالنسبة لتاريخها السياسي، وجعلته بعنوان: «نظام الحكم في الدولة السعودية : الدولة السعودية الثانية أنموذجًا». وسأتحدث فيه عن الوظائف الكبرى في الدولة مبتدئًا بالإمام لكونه أعلى سلطة في الدولة، مرورًا بولي العهد الذي يحتل المرتبة الثانية بعد مرتبة الإمام، ثم أمراء الأقاليم الذين يمثلون الإمام في بلدانهم؛ لأنهم نائبون عنه في إدارة أقاليمهم، وأخيرًا نظام الشورى؛ لأنَّه يوحد وجهة النظر بين السلطات الثلاث السابقة، وينظم اتخاذ القرار، ويجعله في حيز التنفيذ، بالإضافة إلى أن الشورى وظيفة إسلامية حث القرآن الكريم على تطبيقها في المجتمع، وطبقها الرسول ﷺ في واقع حياته، ثم أختم البحث بالحديث عن مدى تلاؤم نظام الحكم مع واقع مجتمع الدولة السعودية الثانية.

وقد حصرت البحث بدراسة هذه الوظائف؛ لأنَّها المناصب الإدارية الرئيسة في الدولة، وبدراستها تتضح معالم النظم الأخرى، مثل: النظام القضائي، والمالي، والعسكري... ونحوها، التي يحتاج إدراجها ضمن هذا البحث إلى قدر كبير من الصفحات تصلح لأن تكون كتابًا مستقلاً تحت عنوان: " نظم الحكم والإدارة في الدولة السعودية الثانية"، ولذلك قصرت الموضوع على ما سبق؛ ليتناسب مع حجم المقال العلمي الذي ينشر عادة في الدوريات المتخصصة.

تمهيد :

لقد قضت جيوش محمد علي باشا على الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م عسكريًا، ولكنها لم تقض على المبادئ التي قامت عليها الدولة واستند عليها آل سعود، وهي مبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تلك المبادئ التي كانت وما تزال لها أثر كبير في نفوس سكان الجزيرة العربية وحكامها؛ ولهذا تجاوب السكان مع من عملوا على إحياء الدولة من جديد، وفي طليعتهم الإمام تركي بن عبدالله الذي كان يتمتع بصفات قيادية فذة، فقامت الدولة من جديد على المبادئ نفسها التي قامت عليها سابقتها.

ومن الملحوظ أن الدولة السعودية الثانية لم تبلغ من السعة والقوة ما بلغته الدولة السعودية الأولى، ويدل على ذلك أن الدولة السعودية الثانية وهي في أوج قوتها لم تشتمل إلاَّ على نجد وجبل شمر والأحساء والقطيف وقطر والبحرين وساحل عمان وواحة البريمي والساحل الغربي للخليج العربي، وظلت هذه الدولة قائمة ما يقرب من سبعين عامًا، تعرضت خلالها لكثير من المحن والتدخلات الخارجية التي أفقدت زعماءها حريتهم السياسية الكاملة، واقتطعت جزءًا من أراضيها؛ لأن القوى الخارجية لم تكن ترغب في إحياء هذه الدولة من جديد، ثم صارت الانقسامات الداخلية سببًا في نهايتها(٤).

كانت سياسة محمد علي باشا ترمي إلى السيطرة على شبه الجزيرة العربية بأكملها، فبعد أن تم له خراب الدرعية، جَنَّد

---

(٤) العثيمين، عبدالله الصالح، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، ط١، الرياض، مطابع دار الهلال ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص.ص ٥-٦.

أناسًا لمعرفة ما يجري على ساحة نجد من مستجدات خوفًا من قيام الحكم السعودي مرة أخرى، وهؤلاء نعتوا أولي الأمر في هذه المنطقة بأبشع النعوت والصفات دون النظر إلى الدين(٥)، إلاّ أن جهود محمد علي باشا لم تفلح في القضاء على الأسس التي قامت عليها الدولة السعودية. ومن هنا كانت الظروف مهيأة لعودة الحكم السعودي لهذه المنطقة. كان من السهل على محمد علي مع وجود الأسلحة المتقدمة والتنظيمات العسكرية العصرية القضاء على الدولة السعودية الأولى من حيث هي سلطة سياسية، أمَّا مبادئ الإصلاح الديني فلم يكن من السهل محوها من النفوس، وهذه المبادئ كانت هي النواة لإحياء الحكم السعودي بعد انسحاب إبراهيم باشا بسنوات قليلة (٦).

ففي سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م استعاد الإمام تركي بن عبداللَّه بن محمد بن سعود الرياض، ثم سيطر على نجد، واتخذ الرياض عاصمة لحكمه(٧)، فبدأ بذلك عهد الدولة السعودية الثانية، واستمر تركي بن عبداللَّه في الحكم حتى قتل سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م على يد أحد أفراد الأسرة وهو مشاري بن

---

(٥) انظر: الوثيقة رقم (٧٢) في ٢٦ ربيع الأول ١٢٣٦هـ/ ١ يناير ١٨٢١م، عابدين، محفظة رقم (٧) بحربرا؛ وكذلك الوثيقة رقم (١٨٠) في ١٣ جمادى الثانية ١٢٣٦هـ/ ١٨ مارس ١٨٢١م، دفتر رقم (٤) معية تركية.

انظر: عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي، الدوحة، دار المتنبي، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ١/ ٥٣٩-٥٤٤.

(٦) العقاد، صلاح، الحملة المصرية في شبه جزيرة العرب ١٨١١-١٨٨١م، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد السادس، السنة الثانية، جامعة الكويت ١٩٧٦م، ص١١٩.

(٧) ابن بشر، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ط٤، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ٣٥/٢.



عبدالرحمن بن سعود(٨)، فخلفه ابنه فيصل الذي حكم فترتين :

الأولى: من سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م إلى ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م.

الثانية: من سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م إلى سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م.

وفي الفترة الأولى ظل الإمام فيصل يحكم نجداً حتى هزم أمام قوات محمد علي باشا سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م، فاستسلم وقبل السفر إلى القاهرة(٩)، فتولى حكم نجد خالد بن سعود باسم محمد علي، وبعد انسحاب قوات محمد علي باشا من شبه الجزيرة العربية تنفيذاً لمعاهدة لندن سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م تسلم الأمر في نجد خالد بن سعود(١٠)، وفي عام ١٢٥٧هـ /١٨٤١م خرج عبدالله بن ثنيان على خالد بن سعود فاستلم الحكم في نجد، وطرد ما تبقى من القوات المصرية منها، واستمر في حكمه حتى وصول الإمام فيصل بن تركي إلى نجد سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م فاراً من سجنه في القاهرة(١١).

أمَّا في الفترة الثانية فقد استطاع الإمام فيصل بن تركي أن يوطد حكمه في نجد، فبدأت فترة حكمه الثانية التي امتدت حتى وفاته سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م، واستطاع خلال هذه الفترة استرجاع نفوذ أسرته على معظم المناطق التي كانت تابعة لأسلافه، وسار بدولته خطوات جيدة في تنظيم أمورها، وإدارتها

(٨) البسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، مخطوط، نسخة منقولة عن المخطوط الأصل بخط نور الدين شريبه، محفوظ لدى ورثة لمؤلف، ص١٣١.

(٩) المصدر نفسه، ص١٣٤.

(١٠) أبو علية، عبدالفتاح حسن، الدولة السعودية الثانية، الرياض، مؤسسة الأنوار للنشر والتوزيع، دون تاريخ، ص٥٨.

(١١) ابن بشر، المصدر السابق، جـ٢، ص.ص ١٩٥-١٩٩، ٢١٣-٢١٤.

إدارة حسنة، وحاول أن يقيم علاقة ودية مع بريطانيا صاحبة النفوذ في الخليج العربي(١٢).

وبعد وفاة الإمام فيصل سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م شهدت الدولة حروباً أهلية بين ابنيه عبدالله وسعود، وفي عام ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م كانت نهاية هذه الدولة، وذلك عندما رحل الإمام عبدالرحمن بن فيصل إلى قطر ثم إلى الكويت(١٣).

وقد أوردنا هذه المقدمة عن التطور السياسي للدولة السعودية الثانية لنتعرف على جزء من الأحداث السياسية في بداية تكوين الدولة؛ ذلك لأن الإدارة تنشأ مع نشأة الكيان السياسي لها، وتتأثر بالأحداث التي تواكب هذه النشأة(١٤)، كما أن دراسة النظم لا يمكن استيعابها دون دراسة النشاط السياسي؛ لأن النظم تمثل مجموعة من العناصر التي ترتبط فيما بينها وظيفياً بشكل منتظم، فتتفاعل هذه العناصر وتعتمد على بعضها بشكل متبادل، متأثرة بشكل أو بآخر بالأحداث السياسية(١٥).

ويقول المختصون في علم الإدارة: إن هناك أسلوبين في إدارة مرافق الدولة هما: المركزية واللامركزية. فالمركزية ترمي إلى احتكار الوظيفة الإدارية في الدولة، فتحصر السلطة التنفيذية بيد الحكومة، وتتولاها بواسطة إدارتها المركزية المؤلفة من رئيس

---

(١٢) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، دون تاريخ، ص٢٣١.

(١٣) المرجع نفسه، ص٢٣٢.

(١٤) قاسم، قاسم جميل، علاقة السياسة بالإدارة، ط١، الأردن - عمان، دار الفرقان ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٩.

(١٥) المنوفي، كمال، نظريات النظم السياسية، ط١، الكويت، وكالة المطبوعات ١٩٨٥م، ص٩٣.



الدولة والوزراء، وبواسطة ممثليها في الأقاليم من حكام إداريين يرتبطون بالإدارة المركزية التي هي مصدر الأوامر، وأمَّا الإدارة اللامركزية فتهدف إلى تقسيم السلطة بين الحكومة المركزية وممثليها في الأقاليم من الحكام الإداريين(١٦).

وللبيئة دور مؤثر على أداء وبناء الإدارة المحلية؛ لأن لكل مجتمع أوضاعه ومشكلاته الإدارية التي تحددها المؤثرات البيئية المحيطة به، وهذا يفسِّر لنا صعوبة تبادل الأنظمة الإدارية بين مجتمعات مختلفة فيما بينها من حيث الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية..، فالأنظمة الإدارية تتأثر بالعادات والتقاليد الخاصة بالمجتمع والاتجاهات السائدة فيه، وعلى هذا يتأثر السلوك الإداري في بيئة معينة بالمتغيرات والعوامل الآيكولوجية(١٧) المؤثرة في هذه البيئة(١٨).

وبناء على ذلك فإن نجاح الإدارة يتوقف على مدى شمولية الرؤية السياسية لأهداف المجتمع، وبذلك تكون قد استطاعت أن تطوع الشعب لاعتناق مبادئها(١٩). ولهذا نجد من الصعب إيجاد تعريف جامع مانع لماهية الدولة، فبعض التعاريف يقصر عن المطلوب، وبعضها يتسع، وعلى الرغم من هذه الصعوبة يمكن القول: إن الدولة تتكون من ثلاثة عناصر هي:

١ - قطعة من الأرض.

٢ - مجموعة من الناس.

---

(١٦) يكن، زهدي، التنظيم الإداري، بيروت، دار الثقافة، دون تاريخ، ص٩.

(١٧) الآيكولوجية: هي علاقة النظام الإداري ببيئته وما يترتب على ذلك من تبادل الأثر والتغيير.

(١٨) العلي، محمد مهنأ، الإدارة في الإسلام، ط١، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٥/١٤٠٥م، ص.ص ١٣٩-١٤٠.

(١٩) قاسم، المرجع السابق، ص١٤.

٣ - سلطة عليا تنظم العلاقة بين الأرض والناس.

فلا يمكن تصور قيام دولة بدون واحد من هذه العناصر الثلاثة التي تعد أركانًا حيوية لها(٢٠).

ولقد تميزت النظرة الإسلامية عن غيرها، بحيث جعلت لأطراف الدولة حقوقًا وعليهم واجبات؛ لأن دوافع قيام الدولة الإسلامية " حماية مبادئ الإسلام وخاصة عقيدة التوحيد، التي هي الوسيلة الإيجابية لتحرير الإنسانية، وتنفيذ شرائع الإسلام لقيام المجتمع الإنساني على أسس العدالة والتعاون والتكافل والمثل الأخلاقية العليا "(٢١).

وعليه فإن الدولة في الإسلام تقوم على المبادئ السياسية الإسلامية التالية:

أولاً: أن الحكم لله، قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾(٢٢).

ثانيًا: وحدة القيادة، فقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بممارسة شؤون الدولة القضائية والحربية والإدارية، وذلك كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾(٢٣)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم

(٢٠) الديب، محمد محمود، الجغرافيا السياسية أسس وتطبيقات، القاهرة، مكتبة الأنجلو ١٩٧٩م، ص١٨٥.

(٢١) المبارك، محمد، نظام الإسلام - الحكم والدولة، ط٣، بيروت، دار الفكر ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٢٣.

(٢٢) سورة يوسف آية ٤٠.

(٢٣) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴿٤٩﴾ ﴾(٢٤).

ثالثًا: العدالة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴿٩٠﴾ ﴾(٢٥)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿٥٨﴾ ﴾(٢٦).

رابعًا: المساواة، وقد قامت على أساس التوحيد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾(٢٧)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾(٢٨)، وقال رسول الله ﷺ: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم»(٢٩)، وقال ﷺ أيضًا: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى الناس من آدم وآدم من تراب»(٣٠).

خامسًا: الحرية، قال تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾(٣١).

---

(٢٤) سورة المائدة، آية ٤٩.

(٢٥) سورة النحل، آية ٩٠.

(٢٦) سورة النساء: ٥٨.

(٢٧) سورة النساء، آية ١.

(٢٨) سورة الحجرات، آية ١٣.

(٢٩) رواه الإمام أحمد في المسند ضمن حديث علي بن أبي طالب المشهور، بيروت، المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ، ١/١١٩.

(٣٠) المصدر نفسه ٥/٤٤١.

(٣١) سورة الطور، آية ٢١.

سادساً : الشورى، قال تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾(٣٢).

ولقد قامت على أرض الجزيرة العربية الدولة السعودية الأولى التي راعت هذه الأسس والمبادئ وطبقتها في حياتها اليومية، واستمرت على ذلك الدولة السعودية الثانية، التي تكونت من مجموعة من المجتمعات والقبائل العربية التي لم تعتد أن تجمعها حكومة واحدة قبل قيام الدولة السعودية الأولى، بل اعتادت على حياة الحرية المفتوحة دون حسيب أو رقيب، فكان اعتمادها على القوة المحضة، وكان العنف هو وسيلة التفاهم بين هذه القبائل في غالب الأحيان.

تطور مفهوم الدولة في المجتمع القبلي في نجد :

قبل أن نبدأ في موضوع البحث «نظام الحكم في الدولة السعودية» نجد أنه من الضروري التعرف على مفهوم الدولة لدى المجتمع الذي تكونت منه الدولة السعودية بأدوارها الثلاث، فعلى قدر إيمانهم بقدرة السلطة الحاكمة على تسيير دفة الأمور ومواءمة عادات وتقاليد هذا المجتمع القبلي وطبعها بطابع إسلامي سليم، ومراعاة المبادئ الإسلامية التي تحض على إيجاد حاكم يرعى شؤون المجتمع، على قدر هذا يكون إيمانهم بضرورة وجود دولة وحاكم، إذ لم يكن مفهوم الدولة في هذا المجتمع القبلي في نجد - قبل ظهور الدولة السعودية - يتعدى كونها تتمثل في سيادة القبيلة كهيئة حاكمة، وفي شيخها وأسلوب الشورى فيها كسلطة. وكان شيخ القبيلة هو الحاكم العام الذي

(٣٢) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

يسيِّر القبيلة كما شاء بصفته رائدها، ثم تطور مفهوم الدولة بنشوء التحالفات القبلية[٣٣].

ثم تطور مفهوم الدولة في نجد بعد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية وتبنيها ودعمها من قبل آل سعود سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م، إذ ظهرت قوة سياسية منظمة تغير معها مفهوم الدولة، وهذا أمر طبيعي اقتضاه اتساع أمور السلطة من النواحي السياسية والإدارية والاقتصادية والقضائية، ومن ثم تغيرت وتطورت نظرة السكان للدولة، واختلفت هذه النظرة من إقليم لآخر تبعًا لاختلاف ما لسكانها من اتصال مباشر مع السلطة المنظمة نسبياً[٣٤].

وعلى الرغم مما أحدثته الدعوة السلفية من تطور مفهوم السلطة والدولة في نجد، فإن الأنظمة المستمدة من العادة والعرف والتقاليد الموروثة ظلت أقرب إلى الحكم القبلي، وإن اعتراها تغير طفيف بدأ يميل إلى تقبل التجديد والإصلاح في جميع نواحي الحياة[٣٥].

«نظام الحكم في الدولة السعودية: الدولة السعودية الثانية أنموذجاً»

تعد الحكومة أهم مؤسسات النظام السياسي؛ لأنها أداة لهذا النظام في ممارسة الدولة لسلطاتها وتنفيذ سياساتها، والحكومة الإسلامية أداة للنظام السياسي الإسلامي لتنفيذ الأوامر الإسلامية الصادرة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة،

---

(٣٣) أبو علية، عبدالفتاح حسن، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، الرياض، دار المريخ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص.ص ١١-١٢.

(٣٤) المرجع نفسه، ص١٣.

(٣٥) نفسه، ص١٤.

قائمة على الشورى فيما لم يرد فيه نص من القرآن الكريم أو السنة النبوية، إلاَّ أن تكون في حدود التنفيذ والتنظيم لما نص عليه القرآن الكريم أو بينته السنة النبوية(٣٦).

ولقد قام الحكم السعودي على هذه الأسس والمبادئ الإسلامية واقترن بها، فكانت له قوة ومنعة، وظل هو الحكم الأمثل الذي اقترنت به المنطقة في تاريخها الحديث، فأصبحت منطقة نجد وما حولها تشكل دولة واحدة تحت حكم آل سعود.

وتجدر الإشارة إلى أن للدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب أثرًا بارزًا في تأصيل نظم الحكم والإدارة في الدولة السعودية بأدوارها الثلاث، حتى إننا نلحظ أن نظم هذه الدولة لم تتغير تغيرًا جذريًا بين دور وآخر، فكانت الدولة السعودية في دورها الثاني مكملة للدولة السعودية في دورها الأول، كما أنها في دورها الثالث مكملة لدوريها الأول والثاني، إلا أنها تميزت عن سابقتيها بتدوين النظم في سجلات الدولة الرسمية. ولذلك كانت الدولة السعودية سابقًا وما تزال حاليًا تستمد من الشريعة الإسلامية دستورها في الحكم والإدارة.

إن الدولة السعودية الثانية - كغيرها من الدول - كان لها نظم تسير عليها في حكمها لمجتمعها، ولكنها لم تكن نظمًا مكتوبة في سجلات الدولة الرسمية، بل كانت تسير على حسب ما جاء في الشريعة الإسلامية، فكانت مصادر التشريع الإسلامي هي المرجع في نظم الدولة وأساليب إدارتها في شتى مجالات الحياة. ومن خلال استقرائنا للمصادر التي تناولت

(٣٦) العلي، محمد مهنا، المرجع السابق، ص١٥٥.

تاريخ الدولة السعودية الثانية، نلقي النظرة على نظام الحكم فيها من خلال دراسة الموضوعات التالية :

أولاً: الإمامة.

ثانيًا: ولاية العهد.

ثالثًا: أمراء الأقاليم.

رابعًا: نظام الشورى.

خامسًا: مدى تلاؤم هذه النظم مع واقع مجتمع الدولة.

أولاً: الإمامة

الإمام هو قمة الهرم الإداري في الدولة، وهو الحاكم الذي يجمع السلطتين الدينية والسياسية، فيسير سياسة الدولة حسب الشريعة الإسلامية. يقول ابن خلدون في مقدمته: «فأمَّا تسميته إمامًا فتشبيهًا بإمام الصلاة في اتباعه والاقتداء به؛ ولهذا يقال: الإمامة الكبرى»(٣٧). أمَّا الإمامة الصغرى فهي إمامة الصلاة والأعياد والجمع(٣٨).

ولقب رئيس الدولة الإسلامية بلقب "الإمام"؛ لأنه يؤم المسلمين في صلاتهم، وفي تدبير شؤون حياتهم، ورعاية مصالحهم، فهم يقتدون به ويقتفون أثره، ويطيعون أمره، كما يقتدي المأموم بالإمام (٣٩).

---

(٣٧) ابن خلدون، عبدالرحمن، مقدمة تاريخه المسمى " العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، جـ١، ص٢٤٤.

(٣٨) أبو فارس، محمد عبدالقادر، النظام السياسي في الإسلام، دون دار ومكان، ١٩٨٠م، ص١٧٦.

(٣٩) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ونظرًا لأهمية هذا المنصب وتأثيره على الأمة الإسلامية، فقد اشترط علماء الإسلام في من يتولى رئاسة الدولة الإسلامية أن تتوفر فيه الشروط التالية :

١ - الإسلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴿٥٩﴾﴾(٤٠).

٢ - البلوغ، وهو شرط التكليف، والإمامة أكثر التكاليف عبئًا، فالصبي لا يملك أمر نفسه، فكيف بأمر المسلمين.

٣ - العقل، وهو أيضًا شرط التكليف، فالمجنون حاله حال الصبي، كما أن الإمام لا بد أن يكون على درجة عالية من الذكاء والفطنة.

٤ - الحرية؛ لأن العبدمشغول بحق غيره، ولا يملك التصرف بأمر نفسه.

٥ - الذكورية؛ لأن الرجال مقدمون على النساء، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ الآية(٤١)، والعبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالمرأة لا يحق لها شرعًا أن تؤم الناس في الصلاة(٤٢)، ولقول الرسول ﷺ: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»(٤٣).

٦ - العدالة، فيجب على الإمام أن يكون قائمًا بالفرائض والأركان، يقول ابن خلدون: «وأمّا العدالة فلأنه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها، فكان أولى

(٤٠) سورة النساء، آية ٥٩.

(٤١) سورة النساء، آية ٣٤.

(٤٢) أبو فارس، المرجع السابق، ص.ص ١٧٩، ١٩٦.

(٤٣) أخرجه الإمام البخاري في المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر. انظر: البخاري مع الفتح، ج ٨، الحديث رقم (٤٤٢٥).



باشتراطها فيه، ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح في ارتكاب المحظورات وأمثالها»[٤٤].

٧ - الكفاءة، وذلك في التصدي لمصالح الأمة وضبطها، يقول ابن خلدون: «... وأمَّا الكفاية فهو أن يكون جريئًا على إقامة الحدود، واقتحام الحروب بصيرًا بها، كفيلاً بحمل الناس عليها، عارفًا بالعصبية وأحوال الدهاء، قويًا على معاناة السياسة؛ ليصح له بذلك ما جعل إليه من حماية الدين، وجهاد العدو، وإقامة الأحكام، وسياسة الدنيا، وتدبير المصالح»[٤٥].

٨ - العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام، المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير مصالحهم.

٩ - ألاَّ يطلبَ الإمارة؛ لأن الطلب تزكية للنفس، واللَّه تعالى يقول: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ الآية[٤٦]، ولحديث عبدالرحمن بن سمرة - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبدالرحمن، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكِلْتَ إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعِنْتَ عليها»[٤٧].

١٠ - المواطنة، بمعنى أن يكون الإمام من سكان الدولة المستقرين فيها[٤٨].

---

(٤٤) ابن خلدون، المصدر السابق، ٢٤٦/١.

(٤٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٤٦) سورة النجم، آية ٣٢.

(٤٧) متفق عليه.

(٤٨) المودودي، أبو الأعلى، نظرية الإسلام وهديه، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص. ص ٣٠٠-٣٠٢.

١١ - سلامة الحواس والأعضاء؛ لأنه بواسطتها تدرك الأشياء، فيشترط سلامتها كلها لتأثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل إليه(٤٩).

أمَّا عن طريقة تعيين الإمام فليس هناك نص من الكتاب أو السنة يحدد طريقة تعيينه، وهناك عدة ألقاب تلقَّب بها رؤساء الدول الإسلامية، ومنها :

١ - الخليفة.

٢ - أمير المؤمنين.

٣ - السلطان.

٤ - الإمام.

وقد اتخذت الدولة السعودية من هذه الألقاب الأربعة لقب "إمام"، مع أن هذه الألقاب وغيرها لا يقصد منها الدلالة على نظام معين من أنظمة الحكم، فجميعها تعني الرئاسة بمعناها العام؛ ذلك لأن داود - عليه السلام - سُمِّي في القرآن الكريم خليفة في موضع، وسُمِّي ملكًا في موضع آخر، قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ ﴿٢٦﴾﴾(٥٠)، وقال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴿٢٥١﴾﴾(٥١)، وكذلك إبراهيم - عليه السلام - سُمِّي في موضع إمامًا، ووعد أن يكون المهتدون من ذريته أئمة، ثم في موضع آخر وصف ذريته بالملوك، فالخلافة والملك والإمامة مترادفات تدل على الرئاسة العليا للدولة(٥٢).

---

(٤٩) ابن خلدون، المصدر السابق، ١/٢٤٦-٢٤٧.

(٥٠) سورة ص، آية ٢٦.

(٥١) سورة البقرة، آية ٢٥١.

(٥٢) عودة، عبدالقادر، المال والحكم في الإسلام، ط٥، جدة، الدار السعودية ١٩٨٤م، ص١١٨.

وكان تطور دلالات الألقاب السياسية في شبه الجزيرة العربية متناسبًا مع تطور الأوضاع السياسية فيها، فكان يطلق على حاكم المدينة أو البلدة في العادة لقب "أمير"، وعلى حاكم القبيلة لقب "شيخ" ولقب "أمير"، وأحيانًا يطلق لقب (شيخ) على حاكم المدينة أو البلدة أيضًا لدخول لقب "أمير" فيه. وعندما قامت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية، وأيدها الإمام محمد بن سعود سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م بويع آل سعود بإمامة الدولة الناشئة، وأصبح لقب الحاكم "إماماً" لاحتوائه على المفهومين الديني والسياسي(٥٣).

وكان تعيين الإمام في عهد الدولة السعودية الثانية يعتمد على مبدأين هما:

الأول: موافقة أهل الحل والعقد في الدولة على الإمام المعين ومبايعته.

الثاني: بيعة جمهور المسلمين للإمام .

والبيعة هي كالعهد على الطاعة، فكأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلِّم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك.

وتجدر الإشارة إلى أن الشروط التي قال بها علماء المسلمين فيمن يتولى أمر المسلمين، كانت متوفرة فيمن تولى الإمامة في الدولة السعودية الثانية، وكان الإمام يجد المؤازرة من علماء ومشايخ البلاد؛ لأنه في السابق كان تلميذاً قد نشأ وتربى وتعلم على أيدي هؤلاء العلماء والمشايخ، حتى أصبح أهلاً لتولي حكم

---

(٥٣) أبو علية، داراسات في تاريخ الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص١٦.

البلاد. وكان لهؤلاء العلماء والمشايخ مكانة خاصة لدى الإمام، فكثيراً ما يتلقى الإمام رسائل النصح والإرشاد والتوجيه منهم، سواء كانوا في مركز الدولة أم في أقاليمها، وهذه الرسائل فيها النصيحة لله ولرسوله، وما يجب على الإمام من أمر الدين والدنيا، وحث الإمام على اختيار أتقى الناس وأقربهم إلى الخير لتولي الأمور في البلاد، وأن يحرص على السؤال عن الشخص المراد توليته أمراً من الأمور من أهل محلته(٥٤).

أمَّا عندما ظهر الاختلاف في أواخر أيام الدولة السعودية الثانية، بحدوث النزاع بين أبناء الإمام فيصل بن تركي، فقد سلك المشايخ والعلماء مسلكًا عادلاً، التزموا فيه النصيحة والتوجيه لأطراف النزاع، فإن لم تنجح مساعيهم طبقوا ما جاء في كتب الحنابلة حول من تحق له الولاية، وأنها تحق لمن كانت الغلبة له(٥٥)، فيبايعه أهل الحل والعقد، ثم أمراء البلدان ورؤساء القبائل(٥٦)؛ وذلك ليستقر الأمر، فيتوفر الأمن والطمأنينة للمجتمع، وتؤدي الحكومة ما عليها من واجبات، وتعطى ما لها من حقوق.

الإمام ما له من حقوق، وما عليه من واجبات :

كان على من تؤول إليه الإمارة قبل الحكم السعودي أن يحكم طبقًا للأعراف والتقاليد القبلية، إلاَّ أن التغيير بدأ يطرأ على

(٥٤) رسالة من الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الإمام فيصل بن تركي، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ط١، مصر، مطبعة المنار ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م، الجزء الأول، القسم الثاني، ص.ص ٣٢١-٣٢٥.

(٥٥) رسالة من الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن إلى الأخوين زيد بن محمد وصالح بن محمد الشثري، المصدر السابق، ٦٩/٣-٧٤.

(٥٦) ابن بشر، المصدر السابق، ١٣١/٢.

هذا النظام منذ أن اتفق الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود على نشر عقيدة التوحيد(٥٧)، فمنذ عام ١١٥٧هـ/١٧٤٤م بدأ تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية التي نص عليها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة واجتهادات السلف الصالح. ولذلك فقد اتسعت مهام الإمام لتشمل كل ما يتصل بالدولة من أمور الدين والدنيا؛ لأنه يجمع وظائف الدولة وفقًا للتشريع الإسلامي، مستعينًا بمن يعينهم من قضاة وأمراء وعمال، ويمكن أن نجمل واجبات الإمام في الآتي :

أ. الإشراف الإداري العام على شؤون الدولة.

وذلك من خلال رسائله إلى عماله في الأقاليم، التي توضح سبل السير في حكم الرعية، وفيها الحض على الجهاد والزجر عن المنكرات، وكان هذا الأسلوب متبعًا منذ أيام الدولة السعودية الأولى، وبخاصة إرسال النصائح، فلا يغفل عن ذلك كل سنة(٥٨)، وهذه النصائح تتناول ما يلي:

١ - الوصية بتقوى اللَّه عز وجل.

٢ - النهي عن الانغماس في الدنيا.

٣ - المحافظة على الصلوات الخمس.

٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ذلك مهمة عامة، مع بيان شروطها، وضرورة قيام أناس في هذا الأمر في كل ناحية.

٥ - معرفة أصل دين الإسلام وطرق ذلك.

---

(٥٧) عبدالرحمن، عبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى، ط٢، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٦م، ص٢٢٥.

(٥٨) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ١٣٠.

٦ - جباية الزكاة.

٧ - ميزة الجماعة، ومساوئ الفرقة.

٨ - النهي عن الربا وبيان أنواعه.

٩ - ضرورة الابتعاد من معاشرة أصحاب الرذائل.

١٠ - الحث على الدروس الشرعية ومجالس الذكر ومتابعة من تخلف عنها(٥٩).

وهذه النصائح والخطب أشبه ما تكون بدستور للحكم(٦٠).

وكانت طريقة تبليغ هذه النصائح تتم على النحو التالي :

١ - قراءتها في مساجد البلدان.

٢ - نسخها وتوزيعها.

٣ - إعادة قراءتها كل شهرين(٦١).

ومن الملحوظ أن الرسائل المتبادلة بين الإمام وأي شخصية أخرى في الدولة، تتبع غالبًا أسلوبًا تقليديًا، كان متبعًا منذ أيام الدولة السعودية الأولى، ويمكن تقسيم أسلوب الرسائل إلى ما يلي:

١ - البسملة، ثم من الإمام (المرسل) إلى فلان (المرسل إليه).

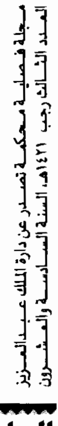
٢ - السلام والتحية.

٣ - موجب إرسال الرسالة (السؤال عن حال المرسل إليه، وإفادته عن حال الإمام).

(٥٩) المصدر نفسه، جـ٢، ص ص ١١٣، ١١٨، ١٣٠-١٣١.

(٦٠) سعيد أمين، تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود إلى عبدالرحمن الفيصل ١١٥٨-١٣٠٧هـ، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، دون تاريخ، ص١٣٧.

(٦١) ابن بشر المصدر السابق، ٢/٢١٥.



٤ - الإخبار بوصول رسالة المرسل إليه، وإخباره بأن ما ورد فيها أصبح معلومًا لدى الإمام.

٥ - غالبًا ما يطلب الإمام ممن أرسل إليه رسالة ألاَّ يتأخر عليه بالأخبار الخاصة والعامة.

٦ - يطلب الإمام من المرسل إليه أن ينقل سلام الإمام إلى خاصة نفسه وأبنائه وجميع جماعته، ومن أبناء الإمام وخاصة الابن الأكبر إلى المرسل إليه.

٧ - تختم الرسالة بـ «وأنت سالم والسلام»، ثم يوضع ختم الإمام بجوار آخر كلمة، وربما يكون ذلك منعًا للإضافة على الرسالة أثناء نقلها، ثم يوضع تاريخ الرسالة في اليوم والشهر والسنة(٦٢).

وتجدر الإشارة إلى أن علاقة الإمام مع العلماء والمشايخ والقضاة كانت قوية للغاية، فكثيرًا ما يتبادل معهم الرسائل التي تحض على الحرص على الاستقامة وتقوى اللَّه ومراقبته في السر والعلانية، والدعوة إلى اللَّه وإلى كتابه وسنة نبيه صلى اللَّه عليه وسلم، وحب الإسلام ومن قام فيه وتمسك به(٦٣).

وللإمام مشاركات في الفصل في القضايا الشرعية، كقضايا الوقف مثلاً، ولا يجد الإمام غضاضة في الاعتراف بالخطأ، أو النسيان في أمر من الأمور، ومن ذلك قوله في إحدى قضايا الوقف: « ... فإن كان حنا ذاكرين ما لهم إلاَّ ربع فهو زلل من الكاتب أو بنسيان منا جلَّ من لا يضل ولا ينسى»(٦٤).

(٦٢) انظر: الوثائق ذات الأرقام التالية: ١١٧٦، ١٨٥٨، ٩٦٢، ١٠٨٩، ٧٢٨، ١٠٩٠، ٧٢٧، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز.

(٦٣) انظر: الوثيقتين رقم ١٠٨٩، ورقم ١٠٩٠، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز.

(٦٤) الوثيقة رقم: ١١١٩، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز.

كما أن الإقطاعات التي يمنحها الإمام لرعاياه، لا يحق لأحد الاعتداء عليها، ومن حاول الاعتداء عليها فإن الإمام يمنعه، وإن كان الإقطاع من إمام سابق فإن الإمام الجديد يمضيه، ويتوعد بالتهديد من تعرض له، ومن ذلك رسالة أرسلها الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي إلى بعض بلدانه يخبرهم فيها بأنه ممضي لإحدى أسرهم عينهم وسواقيها الشمالية والجنوبية الممنوحة لهم من الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (١١٧٩-١٢١٨هـ/١٧٦٥-١٨٠٣م)[٦٥].

ب- الإشراف على الأمن:

يباشر الإمام عقاب العابثين بأمن وسلامة البلاد سواء كان فرداً أم جماعة، ومن ذلك ما حدث من رئيس إحدى القبائل ومعه بعض القبائل الأخرى، عندما قطعوا الطريق على الحجاج عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م، فقد غضب الإمام فيصل بن تركي، وطلبه لمجازاته، ولكنه لم يتمكن منه إلاَّ بعد ذلك بأشهر، وذلك عندما لجأ رئيس تلك القبيلة إلى قبيلة أخرى، فأرسل إليها الإمام فيصل يطلبه منها، فلما استلمه رسل الإمام، ذهبوا به إلى الأحساء حيث قتل هناك[٦٦]، وكان قتله بعد فعلته بعام بأمر من الإمام فيصل بن تركي[٦٧].

وقد كان لهذه الحادثة وقع كبير على أمن الدولة وسلامتها ضد من تسول له نفسه العبث بأمنها، كما كان لها دور كبير في

---

(٦٥) الوثيقة رقم: ١٤٥٠، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز.

(٦٦) الذكير، مقبل بن عبدالعزيز، تاريخه "دون عنوان" مخطوط رقم ٥٦٩، بغداد، مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب، ص٧٣.

(٦٧) الفاخري، محمد بن عمر، الأخبار النجدية، تحقيق: عبدالله بن يوسف الشبل، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بدون تاريخ، ص١٧٩.

إظهار قوة الدولة لدى زعماء القبائل الآخرين، ويظهر ذلك عندما تخلى جميع زعماء القبائل عن مناصرته، أو حتى التوسط له عند الإمام فيصل بن تركي، بل إن جماعته تخلوا عنه عندما وصلت إليهم جيوش الإمام فيصل، وتوسلوا إليه ألاّ يأخذهم بجرم لم يرتكبوه(٦٨).

وقد يقع خلاف بين أهل ناحية من النواحي أو بلد من البلدان التابعة للدولة، فيخرج الإمام للإصلاح بينهم، ورد الظالم عن ظلمه، ومن ذلك ما حدث بين بعض أهالي إحدى البلدان في جنوبي نجد سنة ١٢٦١هـ/١٨٤٥م من خلاف، فخرج إليهم الإمام فيصل بن تركي، ولما وصل إليهم أودع أهل الخلاف السجن، وصادر سلاحهم، ثم أمَّر عليهم شخصًا من قبله(٦٩).

جـ. الإشراف على الشؤون المالية والحربية:

لما كانت الزكاة تمثل الركن الثالث من أركان الإسلام لقول الرسول ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاَّ اللَّه وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»(٧٠)، كما أنها تعد من أهم موارد بيت المال، إذ تؤخذ من الأغنياء، وتصرف في مصارفها الشرعية التي بينها اللَّه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠﴾(٧١)، كما أن الزكاة تعد من أهم وسائل التكافل الاجتماعي؛ لذلك أولاها قادة الدولة السعودية الثانية

---

(٦٨) ابن بشر، المصدر السابق، جـ٢، ص.ص ٢٣٣-٢٣٤، ٢٣٧.

(٦٩) المصدر نفسه، ٢/٢٣١-٢٣٢

(٧٠) متفق عليه.

(٧١) سورة التوبة، آية ٦٠.

جل اهتمامهم، فكان الإمام يشرف عليها بنفسه، ويقوم بإرسال العمال لجبايتها عندما يحين وقت دفعها، سواء كانت عينًا أو نقدًا، وبعد جبايتها يصرفها الإمام في مصارفها الشرعية(٧٢).

كما يشرف الإمام على إعداد القوات، ويكلف عماله على الأقاليم ورؤساء البادية بإعداد الجيوش وما يلزمها من عدة وعتاد، ويحدد لهم موعدًا معلومًا في مكان معين يجتمعون فيه للغزو، ويهدد بالعقاب من يتخلف أو يخل بما أمر به(٧٣)، وكان الإمام يقود الجيش في كثير من المعارك(٧٤)، وأحيانًا يجعل نائبًا عنه في قيادة الجيش، وغالبًا ما يكون ابنه الأكبر أو أحد إخوانه(٧٥)، وربما يقود الجيش أحد القادة المشهورين بحسن القيادة والإخلاص للدولة(٧٦).

د - الإشراف على التعليم :

نظرًا لما للعلم من دور كبير في رقي الأمم وتطورها؛ فقد أولى حكام الدولة السعودية الثانية العلم والتعليم اهتمامًا كبيرًا، فكان الإمام يحضر مجالس التعليم، ويشارك في المناقشات التي تدور

أولى حكام الدولة السعودية الثانية العلم والتعليم اهتمامًا كبيرًا، فكان الإمام يحضر مجالس التعليم، ويشارك في المناقشات التي تدور بين العلماء وطلابهم

(٧٢) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/٢٣٥

(٧٣) المصدر نفسه، ٢/١١١-١١٢؛ وكذلك: بوركهارت، جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين، ط١، دون مكان ودار، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص.ص ٦٥-٦٦.

(٧٤) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/٥٨-٦٤-٨٧-١٣٢

(٧٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص.ص ٧٢، ٧٩، ٨٥؛ وكذلك: الذكير، المصدر السابق، ص٨٧.

(٧٦) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/٦٩.



بين العلماء وطلابهم، ويعين المخصصات التي تكفي حاجة العلماء في سائر البلاد، وغالبًا ما تكون مبلغًا من المال، ومقدارًا من التمر والعيش والسكر والشاي والقهوة [٧٧]، كما يجتهد الإمام في حل المشكلات التي تعترض طلبة العلم، فيخرج لهم من خزينة الدولة ما يكفيهم مدة دراستهم، ويسمى ذلك (بروة)[٧٨]، وكان يشجع أبناءه وأبناء أسرته على حضور مجالس العلماء كبقية الطلاب. ومن حرص الإمام على نشر العلم وضع بالاتفاق مع المعلمين من العلماء والمشايخ أوقاتًا معلومة للتدريس، وغالبًا ما تكون بعد صلاة الفجر وحتى طلوع الشمس، ومن بعد صلاة العصر حتى قبيل الغروب. ومن الملفت للنظر أن التعليم لا ينقطع حتى في وقت الحروب، إذ يحرص الإمام أن يكون هناك بعض المعلمين الذين يصحبون الجيش أثناء سيره؛ ليلقوا على الطلاب دروسًا في العلوم الشرعية والعربية [٧٩].

هـ - العناية بالفقراء والمساكين :

من المعلوم أن الدين الإسلامي الحنيف يحث على التكافل والتراحم والتعاطف، فقد جعل للفقراء والمساكين حقًا عند الأغنياء، وجعل من مهمة أولياء الأمور رعاية هذا الجانب والاهتمام به، ولذلك نرى الإمام في عهد الدولة السعودية الثانية يهتم بهذا الجانب، فيعلن رعايته لتلك الفئة من مجتمع الدولة،

---

(٧٧) انظر: الوثيقة رقم: ٩٢٦، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز.

(٧٨) البروة: هي التحويل الذي يعطى للطالب ليقبضه من إحدى الجهات، وقد تشتمل على أرز وسكر وشاي وقهوة وتمر.

انظر: صحيفة أم القرى، العدد ٢٩١، مكة المكرمة، الجمعة ٨ صفر ١٣٤٩هـ/ ٤ يوليو ١٩٣٠م.

(٧٩) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/٢٣٥.

حيث يدفع لهم ما يستحقونه من بيت المال، ويصف ابن بشر الإمام تركي بن عبدالله بقوله: «... مع تواضع للأرامل واليتامى والمساكين في هيبة جعلها الله عليه، ومحبة في القلوب مصروفة إليه... وكانت اليتامى من كل بلد عنده في قصره، وكل أرملة ومنقطع يحسن إليه ويبره، وهو الذي يتولى لباسهم وكسوتهم بيده تواضعًا، كما لا يقدم إليهم الطعام إلا بحضرته...، ومن لطيف سيرته أنه يكون للضعيف في الغاية من التلطف والإكرام ولين الكلام وإطعام الطعام»(٨٠).

وأخيرًا فإن على الإمام أن يختار لمهام الدولة أناسًا مستقيمين، عرف عنهم التدين والبعد عن الأهواء الشخصية، حتى يشيع العدل في الدولة، ويهنأ المجتمع بحياة آمنة مستقرة؛ لأن عمال الدولة إن كانوا متصفين بالعدل ومراعاة أوامر الله، كان ذلك سببًا من أسباب استقرار الأمور، وتمام السيادة؛ لأن " من حسن السياسة وتمام السيادة والرياسة اختيار الخاصة والوزراء، وانتخاب الكتاب والجلساء، واستشارة ذي الرأي من الفضلاء " (٨١).

وتجب طاعة ولي الأمر كما دل على ذلك الكتاب والسنة؛ إلا إذا أمر بمعصية، كما أن لولي الأمر حقوقًا على رعيته، منها ما يلي:

١ - للإمام السمع والطاعة في غير معصية اللّٰه سبحانه وتعالى.

٢ - له الحق في مال المسلمين، نظير جهده وانقطاعه عن النظر في شؤونه الخاصة، وتفرغه لإدارة شؤون مجتمعه.

---

(٨٠) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/١١١-١١٣.

(٨١) القلعي، الإمام أبي عبداللّٰه محمد بن علي، تهذيب الرئاسة وترتيب السياسة، تحقيق إبراهيم يوسف ومصطفى عجو، ط١، الأردن - عمان، مكتبة المنار، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١٣٣.

٣ - له النصرة من الأمة ضد كل من يؤذيه، أو يتمرد عليه فردًا كان أو جماعة.

٤ - له النصيحة، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٨٢].

ولقد تميز حكام الدولة السعودية الثانية بالتواضع والحلم، يقول ابن بشر في وصفه للإمام تركي بن عبدالله، وذلك في رسالة أرسلها إلى الشيخ محمد ابن الشيخ إبراهيم بن سيف: «... وهو مع ذلك في تواضعه كرجل من عامة المسلمين يلبس مثلهم في اللباس، ومثلهم على الراحلة إذا ركب في الناس، أبوابه لا ترد، وحجابه لا ترد، ويكافحه الجافي فيرد عليه أحسن رد، وتوقفه المرأة والضعيف للحاجة فيقف ولا يصد، فصار المسلمون به مبتهجين، وبأخلاقه الحسان مسرورين، وهم به في أوطانهم آمنون»[٨٣].

كما أن الإمام فيصل بن تركي كان حليمًا ومتواضعًا، فاستطاع بحنكته وحسن سياسته أن يوطد أركان دولته، ويجعلها قوية ومهابة بين جيرانها، وقد وصف الرحالة بلجريف حكومة الإمام فيصل بقوله: «إنها حكومة قوية ومنظمة، وأنها ذات صفة مركزية وفعالة ومسيطرة في إدارتها، وأن الينبوع الذي تستمد منه قوتها والذي يربط بعضها ببعض هو الدين والجيش، وأنه لا يوجد دستور أو نظام للحكم سوى ما شرعه القرآن أو ما تقضي به الضرورات والظروف المحيطة بهم... [٨٤].

---

(٨٢) أبو فارس، المرجع السابق، ص.ص ٢٠٢-٢٠٧.

(٨٣) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/١٠٧-١٠٨.

(٨٤) مجلة العرب، مدينة الرياض قبل مئة عام في نظر رحالة إنجليزي، الرياض، السنة الأولى، جمادى الأولى ١٣٨٧هـ، ص.ص ٩٨٧-٩٨٨.

ثانياً: ولاية العهد

يأتي ولي العهد بالمرتبة الثانية -بعد الإمام- في سلم الدولة الإداري، وشروط ولاية العهد هي الشروط نفسها الواجب توافرها في الإمام، ويضاف إليها ما يلي:

١ - أن يقبل المعهود إليه العهد ويرضاه؛ لأن العهد عقد بين الطرفين.

٢ - أن يكون المعهود إليه حاضراً، أو في حكم الحاضر(٨٥).

وللإمام الحق في تعيين ولي العهد، وتنعقد إمامة المعهود إليه بعد وفاة من عهد إليه، قال الماوردي: «وأما انعقاد الإمامة بعهد مَن قَبْله فهو مما انعقد الإجماع على جوازه، ووقع الاتفاق على صحته لأمرين عَمِل بهما المسلمون ولم يتناكروهما، أحدهما: أن أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عهد بها إلى عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فأثبت المسلمون إمامته بعهده، والثاني: أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عهد بها إلى أهل الشورى، فقبلت الجماعة دخولهم فيها وهم أعيان العصر اعتقاداً بصحة العهد بها، وخرج باقي الصحابة منها»(٨٦).

وتجدر الإشارة إلى أن نظام ولاية العهد كان معمولاً به منذ أيام الدولة السعودية الأولى التي كانت تسير على نظام وراثي، إذ إن الإمام في ذلك العهد كان يتخذ من أكبر أبنائه وليًا للعهد، ويعهد إليه بقيادة الجيوش، ويستشيره في كل الأمور(٨٧)، حتى يتعلم الابن مهمات الإدارة، ويستعد لتولي الحكم بعد والده.

---

(٨٥) أبو فارس، المرجع السابق، ص.ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٨٦) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، ط١، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١١.

(٨٧) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى، مرجع سابق، ص٢٣١.

ولما كانت الدولة السعودية الثانية امتدادًا للأولى ومكملة لها، فقد سارت على هذا النظام نفسه، وإن كانت لم تطبقه في الواقع العملي كما حصل في عهد الدولة السعودية الأولى للإمامين عبدالعزيز بن محمد وابنه سعود اللذين أسندت لهما ولاية العهد في حياة سلفيهما، فقد أصبح شائعًا ومعروفًا أن الابن الأكبر هو ولي العهد والإمام بعد وفاة والده، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يصرح بولاية العهد لعبدالله ابن الإمام فيصل(٨٨). ولذلك نرى الإمام في عهد الدولة السعودية الثانية يعد ابنه الأكبر لتولي الإمامة بعده عن طريق إسناد كثير من المهمات العسكرية لهذا الابن، فهذا الإمام تركي بن عبدالله كان يعد ابنه فيصلاً لتولي الحكم من بعده، فنراه يوكل إليه مهمة قيادة الجيوش في الحاضرة والبادية لصد الهجوم الذي ربما تتعرض له الدولة، أو لتثبيت الأمن والتوسيع من رقعة الدولة. ففي سنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م قامت إحدى القبائل بمحاولة الإغارة على نجد، فبعث إليهم الإمام تركي بن عبدالله ابنه فيصلاً على رأس جيش كبير، فالتقى الجيشان في معركة " السبية "، وكانت الحرب سجالاً بين الطرفين، حتى كتب الله النصر لجيش الإمام(٨٩).

وفي سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م اغتصب مشاري بن عبدالرحمن الحكم في الرياض بعد أن اغتال الإمام تركي بن عبدالله، ولما وصل الخبر إلى ابنه فيصل - وكان يقوم بعمليات حربية في الشرق - كتم الخبر عن جيشه، ثم اجتمع بمن يثق بهم، وأطلعهم على خبر مقتل أبيه، وطلب منهم الرأي، فاستقر رأيهم على استعادة الرياض ومعاقبة الجاني المغتصب، وأقسموا يمين الولاء

---

(٨٨) العثيمين، تاريخ المملكة، مرجع سابق، ١/٢١٧.

(٨٩) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/٧٢-٧٥.

والطاعة لفيصل بن تركي على أنه إمام وحاكم لهم(٩٠). ثم ذهب الإمام فيصل إلى الرياض، فاستعاد الحكم فيها بعد أن قتل مشاري بن عبدالرحمن(٩١)، فبدأت بذلك فترة حكمه الأولى التي امتدت حتى سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م عندما هزم أمام قوات محمد علي باشا - والي مصر من قبل الدولة العثمانية - واستسلم وقبل السفر إلى القاهرة، وتولى حكم نجد خالد بن سعود تحت سلطة محمد علي، واستمر خالد بن سعود في حكمه حتى ١٢٥٧هـ /١٨٤١م حيث خرج عليه عبدالله بن ثنيان الذي تمكن من بسط سيطرته على نجد وطرد القوات المصرية منها(٩٢).

وفي سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م وصل الإمام فيصل بن تركي إلى نجد فاراً من سجنه في القاهرة، واستطاع أن يسترد حكمه بمؤازرة معظم أمراء بلدان نجد، وذلك بعد أن استعاد الرياض وقبض على عبدالله بن ثنيان(٩٣)، فبدأت فترة حكمه الثانية التي استمرت حتى وفاته سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م.

وفي هذه الفترة استقرت الأحوال في نجد تحت حكم الإمام فيصل، وكان يتولى الحملات ابنه عبدالله الذي أجمع أهل نجد أنه منذ مئة سنة لم يروا أجود منه في الكرم والفروسية(٩٤)، كما كان عبدالله اليد اليمنى لأبيه طوال فترة حكمه الثانية، ولما كف بصر الإمام فيصل بن تركي، باشر ابنه عبدالله أعمال الدولة،

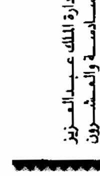
(٩٠) المصدر نفسه، ص١٠١.

(٩١) نفسه، ص١٠٤.

(٩٢) البسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، المصدر السابق، ص١٣٤.

(٩٣) الذكير، المصدر نفسه، ص. ص ٥٠-٥١.

(٩٤) الرشيد، ضاري بن فهيد، نبذة تاريخية عن نجد، تحقيق عبدالله الصالح العثيمين، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٩٩.



وعاونه أخوه محمد بن فيصل، إلاَّ أن الإمام فيصل ظل المرجع الأعلى في الدولة حتى وفاته سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م(٩٥).

ولقد خلف الإمام فيصل بن تركي أربعة أبناء هم: عبدالله وسعود ومحمد وعبدالرحمن، وقد بايع المسلمون بعد وفاة الإمام فيصل ولي عهده ابنه عبدالله(٩٦)، وذلك «وفقًا للتقاليد المرعية أن يلي الحكم أكبر الأبناء سنًا، وكان عبدالله ساعد الإمام فيصل طيلة حياته، أنجز له الكثير من جلائل الأعمال. ويحفل تاريخ الإمام فيصل بالحملات التي قادها بنجاح ابنه عبدالله»(٩٧).

ويلحظ أن إمامة عبدالله بن فيصل لم تستمر طويلاً، إذ لم يلبث أن خرج عليه أخوه سعود بن فيصل، وحدث بينهما عدة معارك انتهت بفرار الإمام عبدالله بن فيصل من الرياض، وتولي سعود بن فيصل الحكم في نجد، وذلك سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، وكان من جراء هذه الاضطرابات أن انفصلت بعض أقاليم الدولة السعودية مثل جبل شمر والقصيم والأحساء(٩٨).

وعندما توفي سعود بن فيصل في نهاية عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، تولى الإمام عبدالرحمن الحكم، ثم تنازل لأخيه الإمام عبدالله بن فيصل؛ نظرًا لكبر سنه، ولأنه الإمام

---

(٩٥) الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ١/٤٦.

(٩٦) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٩٩.

(٩٧) جمعة، إبراهيم، الأطلس التاريخي للدولة السعودية، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، دون تاريخ، ص١٢١.

(٩٨) الذكير، المصدر السابق، ص٦٦.

السابق قبل خروج أخيه سعود عليه. وبذلك هدأت الأوضاع نسبيًا في نجد، وذلك سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م.

وبناء على ما سبق يتبين لنا أن تولية العهد للابن الأكبر تتم في الظروف الطبيعية، أمَّا عندما تكون الحالة غير طبيعية في الدولة، كفترة الاضطرابات التي حدثت في عهد الإمام عبدالله بن فيصل فإن هذا الأساس لا يسار عليه في الغالب؛ نظرًا لتعدد أطراف النزاع التي تتنوع بموجبه الاضطرابات.

ومن كل ما تقدم عن ولاية العهد نجد أنها كانت محكومة بنظام وراثي في حالة كون الأمور طبيعية، ويجد ولي العهد مساندة كبيرة من مجتمع الدولة بمختلف فئاته، أمَّا إن كانت الظروف غير طبيعية كوجود منافسين للإمام الجديد من إخوته أو غيرهم، فإن هذا النظام لا يسار عليه، ويتولى الحكم من تكون الغلبة له، ويضطر أهل الحل والعقد من العلماء والمشايخ إلى مبايعة المنتصر من أطراف النزاع درءًا للمفاسد وحقنًا لدماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم(٩٩).

ثالثًا: أمراء الأقاليم

نظرًا لأن الدولة - غالبًا - تتكون من أقاليم متعددة، مجاورة لمركز الدولة أو بعيدة عنها؛ فإنه يتعذر على الحاكم أن يتولى بنفسه الإدارة المباشرة لجميع ما يتصل بهذه الأقاليم، ولذلك كان عليه أن يستعين بممثلين له في أقاليم الدولة؛ لينفذوا أنظمتها وأحكامها - تحت إشرافه - بصفتهم نائبين عنه.

ومن المعلوم أن الدولة السعودية الثانية كانت امتدادًا للدولة السعودية الأولى ومكملة لها؛ ولذلك سارت الثانية على أنظمة

(٩٩) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، مصدر سابق، ٣/ ٧٠.

الأولى نفسها، ومن ضمنها نظام «أمراء الأقاليم»، إذ كان الإمام يعين زعماء المدن والمناطق والقبائل، ويعزلهم عندما يريد، إلاَّ أن الإمام على العموم كان يبقي على من اختاره أهل الإقليم أو من هو رئيس القبيلة بالتوارث، وبخاصة إذا ثبت أنه مخلص للدولة، وهذا الولاء والإخلاص يجعل منصبه ينتقل إلى ابنه أو أخيه بعد وفاته(١٠٠).

وكان مع الأمير من يسانده في تولي بعض الأمور الخاصة في إقليمه مثل: القضاء، وبيت المال، وجمع الزكاة...، ومكانة الأمير تأتي بالمرتبة الأولى في إقليمه فقط، وبيده صلاحيات واسعة في الإقليم المعين عليه، فهو المشرف على الإدارة والمالية، والمسؤول عن جمع القوات للغزوات في إقليمه(١٠١). وعليه واجبات يمكن إجمالها بما يلي :

١ - إدارة شؤون البلاد في منطقته ورعاية شؤون الناس حسب مبادئ الدولة وأوامر الإمام .

٢ - تنفيذ أوامر الإمام بتجهيز الرجال وما عنده من عدة وعتاد في وقت الحرب.

٣ - جمع الزكاة في إقليمه بواسطة جباة يعينهم بنفسه، ثم يرسل هذه الأموال إلى الرياض.

٤ - إذا قام الأمير بغزوة أو حملة تأديبية فعليه أن يرسل خمس الغنائم لبيت المال في العاصمة.

٥ - عليه توزيع ما يصله من الإمام من عطايا ومنح عينية أو نقدية للرؤساء والفقراء في إقليمه(١٠٢).

---

(١٠٠) بوركهارت، المرجع السابق، ص٤٣.

(١٠١) أبو علية، الدولة السعودية الثانية، مرجع سابق، ص٢٣٢.

(١٠٢) المرجع نفسه، ص٢٣٣.

وقد يجمع أمير الإقليم أو البلد بين منصبين، فيكون نائبًا لبيت المال إلى جانب كونه أميرًا، ومن ذلك ما حدث في عهد الإمام تركي بن عبدالله، ففي سنة ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م عيَّن الإمام تركي أحمد بن ناصر الصانع أميرًا ونائبًا لبيت المال في سدير(١٠٣).

وتجدر الإشارة إلى أن لأمراء آل سعود مشاركة في إمارة بعض الأقاليم، ويكون هناك من أفراد الأسرة الحاكمة من هو مؤهل لتولي هذا الأمر، فيلجأ الإمام إلى تعيينه دائمًا أو مؤقتًا، ففي سنة ١٢٦٣هـ /١٨٤٧م عين الإمام فيصل بن تركي ابنه سعودًا أميرًا على الخرج، وطلب منه إصلاح هذا الإقليم وعمارته(١٠٤). وفي سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م أسند الإمام فيصل بن تركي إمارة القصيم إلى أخيه الأمير جلوي بن تركي(١٠٥).

وقد كان الإمام في عهد الدولة السعودية الثانية على صلة وثيقة بأمراء الأقاليم، فكثيرًا ما يرسل إليهم نصائح عامة، ويطلب منهم قراءتها في المساجد بعد الصلاة(١٠٦)، كما يستغل وقت اجتماعهم عنده لنصحهم وتوجيههم وتحذيرهم من ظلم الرعية، وربما هددهم وتوعدهم بالعزل والطرد إن لم يلزموا جانب العدل في إماراتهم، مثل خطبة الإمام تركي بن عبدالله عندما كان عائدًا من إحدى غزواته، فاجتمع بمن معه من الأمراء وقال لهم: «اسمعوا يا أمراء البلدان، اسمعوا يا أمراء المسلمين، إياكم وظلم الرعايا، والأخذ منهم غير الحق، فإذا ورد عليكم

(١٠٣) ابن بشر، المصدر السابق، ٦٦/٢.

(١٠٤) المصدر نفسه، ٢٤٤/٢-٢٤٥

(١٠٥) نفسه، ص٢٧٣؛ وكذلك: الذكير، المصدر السابق، ص٧٧.

(١٠٦) انظر هذه الرسائل في: الدرر السنية، مجلد٩، جـ١١. مصدر سابق، ص.ص ٥٠-٦٦.

أمـري بالمغـزى حـملتـمـوهم زيادة لكم إياكم وذلك...، وإذا ورد عليكم أمـري فـرحتم بذلك؛ لتـأكلوا في ضمنه، وصـرتم كراصد النخل يفـرح بشـدة الريح؛ ليكثـر السـاقط عليـه، فـاعلمـوا أني لا أبيحكم أن تـأخذوا من الرعـايا كثيـرًا ولا قليـلاً، فمن حدث منه ظلم أو تعدي على رعيته بغير حق فليس أدبه عـزله بل أُجلِّيه عن وطنه بأهله(١٠٧).

ولما اغتيل الإمـام تركي بن عبـدالله في سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م على يد مـشـاري بن عبـدالرحمن كـان الأمـراء من أهم مـسـاندي الإمـام فيصل بن تركي على استـرجاع الحكم ومعـاقبـة الجناة، إذ بايعـوه إمامًا، وساروا معه إلى الرياض حتى تمكن من استـعادتها والقبض على الجناة وتنفيذ حكم الله فيهم(١٠٨).

وقد سـار الإمـام فـيصل بن تركي وبـخاصـة فـي فتـرة حكمـه الثانيـة على سياسـة والده الإمام تركي نفسـها؛ ولـذلك حـافظت الدولة على قوتها وهيبتها، ولم تضعفها محـاولة بعض الأقـاليم الخروج على الإمام وإعـلان الثورة عليه، فقد تعامل الإمـام فيصل مع ذلك بحزم وشدة حتى ألجأها إلى طلب الصلح والأمان(١٠٩).

وبعد وفاة الإمـام فيصل بن تـركي سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م بدأت الدولة تفـقـد سلطانهـا التـدريجي على أمـراء الأقـاليم نتيـجـة للخـلافـات التي ظهـرت في مـركـز الدولة بين أبنـاء الإمـام فيـصل، وبخـاصـة بين ابنيـه عبـدالله وسـعـود؛ مما أدى إلى انفصـال بعض هذه الأقـاليم عن الدولـة مثل الأحسـاء والقـصيم وحـائل(١١٠). ثم

---

(١٠٧) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/٨٨-٨٩.

(١٠٨) الذكير، المصدر السابق، ص٦٣.

(١٠٩) البسام، المصدر السابق، ص١٤١.

(١١٠) الذكير، المصدر السابق، ص٦٦.

تطورت الأحداث مع تنوع أسبابها حتى أدت إلى نهاية الدولة السعودية الثانية وسقوطها على يد أمير حائل محمد بن عبدالله آل رشيد سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م[١١١].

رابعًا: نظام الشورى

لقد أولى الإسلام مبدأ الشورى اهتمامًا كبيرًا، وجعله من أهم أسس الإدارة والحكم في الدولة الإسلامية، وقد أنزلت سورة كاملة في القرآن الكريم تحمل اسم «الشورى»، وفيها يقول اللَّه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾[١١٢]، كما أن اللَّه سبحانه وتعالى وجه نبيه محمدًا ﷺ إلى إقرار مبدأ الشورى والعمل به، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[١١٣]، ولذلك كان الرسول ﷺ يهتم بالشورى، فيستشير أهل الرأي من الصحابة رضوان اللَّه عليهم، مع أنه لم يكن بحاجة إلى رأي أصحابه؛ لأنه يتلقى التشريع وحيًا من ربه، ولكنه أراد إرساء هذا المبدأ في الدولة الإسلامية[١١٤].

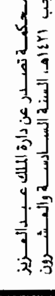
ويمكننا تعريف الشورى بأنها: تتبع الآراء المختلفة ووجهات النظر المطروحة حول قضية من القضايا، وتقليب النظر فيها، واختبارها من أصحاب العقول والأفهام حتى يتوصل إلى

(١١١) السلمان، محمد بن عبداللَّه، الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية، ط١، عنيزة، المطابع الوطنية ١٤٠٧-١٤٠٨هـ/١٩٨٧-١٩٨٨م، ص٢٨٠.

(١١٢) سورة الشورى، آية ٣٨.

(١١٣) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(١١٤) العلي، محمد مهنأ، المرجع السابق، ص.ص ١١٥-١١٦.



الصواب منها، أو إلى أصوبها وأحسنها لتحقيق أحسن النتائج(١١٥).

ونظرًا لأهمية الشورى بصفتها نظامًا إسلاميًا حث الإسلام عليه ورغب فيه، فقد أولته الدولة السعودية بأدوارها الثلاثة عناية فائقة، فحكام الدولة السعودية الأولى كانوا يستشيرون الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حياته، وأمراء الأسرة والعلماء وأصحاب الرأي، وبعد مداولة الأمر بين هؤلاء يقرر الإمام الحكم، فيصدر أمره، هذا في حالة السلم. أمَّا في حالة الحرب فإن الإمام ومن خرج معه من العلماء وأمراء الأقاليم يشكلون مجلسًا استشاريًا غير رسمي؛ وذلك لأن أمراء الأقاليم أو رؤساء القبائل لا يستطيع أحد من أفراد رعيتهم أن يتطاول عليهم أو يثني كلمتهم(١١٦). وقد سارت الدولة السعودية الثانية على هذا المبدأ نفسه؛ لأنها امتداد للأولى ومكملة لها(١١٧).

والشورى تنقسم قسمين: خاصة، وعامة. فالخاصة تضم الأمراء والقضاة والفقهاء والقادة وبعض أفراد الأسرة الحاكمة، وتجتمع في الرياض بأمر من الإمام، ويبرز دورها في حالات الحرب(١١٨). ومن الأمثلة على ذلك ما حدث في عام ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م حيث خرجت حملة عسكرية من مصر بقيادة إسماعيل أغا وخالد بن سعود، فلما وصلت إلى الحناكية وبلغ خبرهم الإمام فيصل بن تركي، جمع رؤساء رعيته ومن ضمنهم

---

(١١٥) أبو فارس، المرجع السابق، ص٧٩.

(١١٦) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى، مرجع سابق، ص.ص ٢٣٢-٢٣٣.

(١١٧) أبو علية، الدولة السعودية الثانية، مرجع سابق، ص٢٣٣.

(١١٨) المرجع نفسه، ص٢٣٤.

عبدالله بن علي بن رشيد فاستشارهم، فأشاروا عليه بالمسير إليهم ففعل(١١٩)، وكذلك فعل الإمام فيصل في أمر الانصراف عن حصار الرس في الحملة نفسها(١٢٠).

أمَّا العامة فهي أوسع من الخاصة، وتعقد على شكل اجتماعات عامة في مناسبات معينة، وفي الغالب تتناول مشكلات الأقاليم، وبعض حالات الفتور والتمردات في الأقاليم، ويحضرها القضاة والأمراء والعلماء وأمراء الأقاليم ورؤساء البادية والقادة. وخير مثال على ذلك اجتماع "وثيلان" الذي عقده الإمام تركي بن عبدالله مع أمراء ورؤساء الأقاليم والبلدان الذين معه، في سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٣م عندما نزل على ماء قرب الدهنا يقال له: "وثيلان"، فأمر على رؤساء النواحي وأمرائهم أن يجتمعوا عنده، فلما حضروا قام فيهم مذكِّرًا، فأول ما وعظهم به أن ذكرهم نعمة الله عليهم بالاجتماع بعد الفرقة، والأخوة بعد العداوة، والغنى بعد العيلة... ثم أغلظ الكلام على الأمراء وتهددهم وحذرهم من ظلم الرعية(١٢١). وهكذا يتبين لنا أن الشورى نظام إسلامي تربوي شرعه الإسلام لمساعدة رئيس الدولة في إدارة شؤون البلاد.

وتجدر الإشارة إلى أن الشورى في عهد الدولة السعودية الثانية قد كان لها دور مباشر في إدارة الجيش وطرق القتال وأساليبه أكثر من غيرها، وربما يكون السبب في ذلك أن الحروب كانت هي السمة البارزة في أكثر فترات هذه الدولة، إذ لم تخل سنة طوال عهدها من حملة أو عدة حملات عسكرية،

(١١٩) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/١٤١؛ وكذلك: الذكير، المصدر السابق، ص٦٤.

(١٢٠) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/١٤٣.

(١٢١) المصدر نفسه، ٢/٨٨.



إمَّا لإعادة السيطرة على بعض الأقاليم، وإما لإخماد تمرد تقوم به بعض القبائل(١٢٢).

خامساً : مدى تلاؤم نظام الحكم مع واقع مجتمع الدولة

لقد حدد الدين الإسلامي ما للفرد والجماعة من حقوق وما عليهم من واجبات تجاه بعضهم البعض، وتجاه القائمين على رعاية أمورهم في مختلف جوانبها. وقد وعى المجتمع السعودي في عهد الدولة السعودية الأولى هذه الحقيقة، فعمل على تطبيقها والمحافظة عليها، فشهدت الدولة تقدمًا ملحوظًا وبخاصة في الجانب الثقافي نتيجة للاستقرار السياسي، وعندما سقطت هذه الدولة على يد الجيش المصري سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م، أحدث ذلك انكماشًا كبيرًا في نفوذ السيادة السعودية في منطقة نجد وما حولها، تلك السيادة التي وجدت العون والتكاتف من المجتمع الذي آمن بالأسس والمبادئ التي قامت عليها الدولة، وأصبح المجتمع بعد سقوط دولته يعيش وضعًا حرجًا جدًا نتيجة غياب السلطة القوية؛ لأن الأمر أصبح بيد الجيش المصري يعمل كيف يشاء، فأحدث ذلك اضطرابًا كبيرًا في المجتمع السعودي الذي اعتاد العدل من ولاة الأمر.

وعندما قامت الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبدالله كانت نجد والأحساء تتكون من شقين: حاضرة، وبادية. ومن الطبيعي أن يختلف ولاؤهما للدولة في بداية عودة الحكم السعودي لها. فالحاضرة، وهم سكان المدن والقرى كان ولاؤهم على دفعتين: الأولى: نجد وما حولها وقد أعلنت الولاء

(١٢٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، مصدر سابق، ٣/٦٩-٧٢.

والطاعة سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م[١٢٣]، والثانية: الأحساء وقد دخلت في البيعة بعد معركة السبية سنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م[١٢٤].

أمَّا البادية ورغم تأخرها فقد وفد رؤساء عدد من القبائل على الإمام تركي بن عبدالله سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م[١٢٥]. وكان وفودهم على الإمام خوفًا منه؛ لأننا نجد أن ولاء بعضهم لم يكن نهائيًا لا رجعة فيه، فقد غيَّرت بعض القبائل من موقفهم، فانضموا إلى زعماء إحدى القبائل في الزحف على نجد سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م[١٢٦].

ومن هنا نجد أن الحاضرة في نجد والأحساء وما حولها كانت في وضع متشابه، في حين أن بعض القبائل البدوية في كلا الجزأين كان موقفها متذبذباً، وبخاصة في عهد الإمام تركي بن عبدالله الذي قضى فترة حكمه في محاولة فرض سيطرته على هذه القبائل، حتى إننا نلحظ أن بعض القبائل يحارب بعضها بعضًا رغم تبعيتها للدولة، كما حدث في مناخ المربع سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م بين مطير وأتباعهم، وعنزة وأتباعهم[١٢٧].

وبعد أن توفرت سبل الاستقرار والطمأنينة في نجد، سعت الدولة إلى القضاء على كثير من السلبيات الموجودة في المجتمع بشقيه الحضري والبدوي، وذلك من خلال مواءمتها بين العادات والتقاليد التي تعارف عليها المجتمع، وصهرها في نظام الدولة

---

(١٢٣) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/٤٠.

(١٢٤) المصدر نفسه، ٢/٧٦.

(١٢٥) نفسه، ص٦٤.

(١٢٦) نفسه، ص.ص ٧١-٧٢.

(١٢٧) الذكير، المصدر السابق، ص٦١.

الإداري وأسلوب الحكم فيها. فاتخذت الدولة من "المبايعة" رمزًا للقبول والطاعة، إذ حرص حكام الدولة السعودية الثانية على أخذ البيعة عند توليهم الحكم أو إخمادهم لحركة تمرد ما، والبيعة رمز لموافقة المبايع للمبايع له، ووضع نفسه تحت إمرة من بايعه، ولها احترام خاص فمتى ما أعطيت الإمام كان على المبايع السمع والطاعة، وإن هو غدر ونكث العهد فهو الملام في كل الأحوال، ويعد خارجًا على ولي الأمر، ويجب ردعه وتأديبه. وإذا أرغم الإمام ناكث العهد بالرجوع عما قام به، وجب عليه تجديد العهد وله من الإمام الأمان، فإذا تم ذلك يجري التباحث في أسباب نكث العهد(١٢٨).

العلماء كان لهم دور في تحقيق الولاء والطاعة للإمام، وعدم الخروج عليه، فالشيخ محمد ابن عبدالوهاب - رحمه الله - كان له دور مؤثر في قيام الدولة السعودية الأولى

وتجدر الإشارة إلى أن العلماء كان لهم دور في تحقيق الولاء والطاعة للإمام، وعدم الخروج عليه، فالشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - كان له دور مؤثر في قيام الدولة السعودية الأولى، وأبناؤه وأحفاده وعلماء الدعوة كان لهم دور في تقوية مركز الإمام، وتحريم الخروج عليه وفق ما تنص عليه الشريعة الإسلامية، فقد سئل الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب عن الحكم فيمن يخرج عن طاعة الإمام فقال: «الذي يعصي الإمام يؤدَّب بما يزجره عن المعصية، والأدب يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، فمن الناس من يكفي فيه الكلام وتفشيله بين الناس، ومنهم من لا يكفي فيه إلاَّ الضرب والحبس

(١٢٨) انظر: الوثيقة رقم ١٨٥٨، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز.

والجلاء، فإن كان العفو فيه مصلحة فهو أحسن، ولا يقال: إن الأدب لازم لا بُدَّ منه، بل الواجب على الأمير أن يفعل ما فيه الأصلح»(١٢٩). ولذلك حظيت مكانة الإمام بالتقدير والاحترام من الرعية؛ لأنه يحتل أعلى المناصب، فيجب حفظ ماله من حقوق، حتى يستطيع تأدية ما عليه من واجبات.

كما أن تعاهد الإمام لرعيته بالنصيحة، وإرسالها لهم بصفة دورية، قد زادت من استمرار الروابط قوية بينه وبين مجتمع الدولة؛ وذلك لأن هذه النصائح غالبًا ما تكون متعلقة بالعلوم الشرعية التي تجعل الإمام في مصاف العلماء من حيث الدرجة العلمية. ففي نصيحة للإمام تركي بن عبداللَّه، أرسلها إلى عامة المسلمين، قال فيها: «وبعد موجب الخط إبلاغكم السلام والسؤال عن حالكم والشفقة عليكم والمعذرة من اللَّه إذ ولاني أمركم، والله المسؤول المرجو أن يتولانا وإياكم في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، والله منعم يحب الشاكرين، ووعدهم على ذلك المزيد....، فالذي أوصيكم به تقوى اللَّه تعالى في السر والعلانية.... وجماع التقوى أداء ما افترض اللَّه سبحانه وترك ما حرم اللَّه...»(١٣٠). ثم ختم الرسالة بقوله: «وأنا أشهد اللَّه أني بريء من ظلم من ظلمكم، وأني نصرة لكل صاحب حق، وعون لكل مظلوم... وبالإسلام أعطاكم اللَّه ما رأيتم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والسلام»(١٣١).

---

(١٢٩) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، مصدر سابق، ٢١٧/١.
(١٣٠) الدرر السنية، مجلد ٩، جـ١١، مصدر سابق، ص.ص ٥٠-٥١.
(١٣١) المصدر نفسه، ص٥١.

أمَّا بالنسبة لنظام ولاية العهد، فقد كان من المصالح الإيجابية التي احتفظ بها نظام الحكم في الدولة السعودية الثانية؛ لأن المجتمع يعرف مسبقًا من هو الإمام القادم، ومن خلال ما يقوم به ولي العهد من أعمال في الدولة، يصبح لدى المجتمع فكرة عن سياسته ومدى صلاحيته للإمامة مستقبلاً، وإن لحظت الرعية بعض المآخذ على ولي العهد، بالإمكان الشورى إبداء مرئياتهم حول سلوك ولي العهد وتصرفاته، وتصحيح المعوج منها، وحثه على سلوك الطرق المثلى في تنفيذ ما أنيط به من أعمال. كما أن ولاية العهد تجعل أمر الخليفة ميسورًا في حالة وفاة الإمام، فلا يكون هناك مدخل لطالبي السلطة من غير أهلها.

نظام ولاية العهد من المصالح الإيجابية التي احتفظ بها نظام الحكم في الدولة السعودية الثانية؛ لأن المجتمع يعرف مسبقًا من هو الإمام القادم

وأمَّا بالنسبة لأمراء الأقاليم، والنظام الذي كانت تسير عليه هذه الأقاليم، فإن السلطة المركزية بعد اتساع رقعة دولتها، رأت في هذا النظام تخفيفًا للضغط الذي سيحدث لو لم تجعل للإمام نوابًا في أقاليم الدولة، بالإضافة إلى أن السلطة المركزية كانت حريصة على استمرار تبعية هذه الأقاليم لها، فنظمت أمر إدارتها، وجعلت الإمارة لمن له كلمة مسموعة عند أهل الإقليم ممن تثق بهم الدولة. وفي ظل هذا النظام برزت بعض الأسر التي تقلد أفرادها منصب الإمارة في بعض الأقاليم، كأسرة السديري التي كانت تحكم إمارة الغاط قبيل قيام الدولة السعودية الأولى[١٣٢]، وإمارة الأحساء والبريمي في بعض

(١٣٢) ابن عيسى، المصدر السابق، ص٨٥.

الفترات[١٣٣]. كما أن أمراء الأسرة الحاكمة شاركوا في إمارة بعض الأقاليم.

إن نظام الإمارة في الأقاليم قد ساعد الدولة على توطيد حكمها، ومساعدة مركز السلطة في إدارة البلاد ونشر العدل والاستقرار.

وأمَّا بالنسبة لنظام الشورى فقد ربط هذا النظام الإمام وحكومته مع أجهزة الدولة الأخرى، وذلك عن طريق اتخاذ الإجراءات اللازمة حيال القضايا الهامة، ولعل من أبرز المجالات التي برزت فيها الشورى بوصفها نظامًا متبعًا في الدولة، مسألة إعلان الحرب من عدمها، والخروج لمقابلة العدو أو انتظاره، والانسحاب من الحرب أو مواصلتها.

ومن خلال هذه النظم الرئيسة أصبحت الدولة مهابة الجانب قوية الحكم في شؤونها المحلية، وأصبح للإمام وولي عهده وأمراء الأقاليم ومستشاري الدولة كلمة مسموعة لدى المجتمع، وساد الاحترام المتبادل بينهم، وأصبح للدولة كيان ونظام تسير عليه في جميع شؤونها المحلية، ولم يعكر هذا النظام، ويزعزع هذا الكيان إلاَّ ظهور النزاع بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي بين ابنيه، عبدالله وسعود، وتعد هذه الفتنة أهم سبب في إضعاف الدولة ومن ثمَّ سقوطها على يد محمد بن عبدالله بن رشيد «أمير حائل» سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م[١٣٤].

(١٣٣) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/٢٣٦.

(١٣٤) الذكير، المصدر السابق، ص.ص ٩٧-٩٨.

